قصة (صفقة الدماء)

بقلم الكاتبة "أروى إيهاب"

"في كل مكان برامج الأخبار تعلن عن تلك الصفقة التي ستحول الدول العربية من دول نامية لدول أولى، اليوم فقط سيصل لنا روبوت يقوم بجميع الأعمال التي تُخِل بقدر الإنسان، أو تسبب له نوع من الشقاء الزائد، والخطورة؛ ولكن انغمس الجميع في خيالاته المستقبلية حين يأتي الروبوت لمنزله، ويوفر عليه كل شيء شاق، لم يفكروا أن لكل عملة وجهان"

- سائر، كيف حالك اليوم، أسمعت ذلك الخبر الجديد؟
- بالتاكيد وصل لي بوادرة، ولكنها بالتأكيد ذات ثمن باهظ
- لا، سمعت اليوم أن منظمة حقوق الإنسان الأمريكية أمرت بتخفيضه حتى يستطيع أصحاب الطبقة السُفلى بالمشاركة
- أخذني الحماس بشدة، تعتقد أنها ستكون مشابهه للإنسان، أم مجرد آلات متحركة؟
- أتمنى أن تتحول لشبيهي حتى توفر عليّ الإستيقاظ باكرًا

ضَحِك الصديقان، واستمر كلًا منهما في التخيل، وفي نهاية اليوم وصل لسيارته المزودة بأحدث التقنيات، مع إلغاء خاصية العجلات، وارتفاعها عن سطح الأرض مسافة مائة سم؛ ينظر للاشخاص ويتخيل أحوالهم بعد تلك النقلة الجديدة، وكيف سيصبح العالم والإنسان يكاد يُلغى دوره، هل مثلًا سيجعلون كل شخص مسؤل عن روبوت معين، ومَن بتحلى جهازة بطاقة جيدة يحصل على ترقية؟

- أنرتَ منزلك عزيزي
- اشتقت لكِ كثيرًا، اليوم صاخب للغاية ولكن رؤيتك جعلت الطمأنينة تسود

عناق طويل يتحسس فيه سائر بطن زوجته بكل حنان، وكأنه يرسل اشارات لإبنه بالسلام.

- أحضرت البيتزا!
- أعلم، حبك لها.
- دومًا تهتم بي، وتستطيع جلب السعادة لقلبي بمنتهى البساطة.

يضم سائر زوجته، يُربط على بطنها المنتفخة وثم.

- كيف حالك ياطفلي، كيف سيكون مستقبلك ياترى.. ما رأيك ياعزيزي في تلك الروبوتات الجديدة.

يصمت قليلًا وكأنه يستمع للرد

- نعم، والدك أيضًا سعيد بها، ولكن لديه بعض الرهبة، ربما لأنه شيء جديد مُبتكر
- أو ربما لأن دولة النجمة هي صاحبة الفكرة

***

- عزيزي، يالها من آلة رائعة، إنها تشبه البشر في كثير من الأشياء؛ يستطيع القيام بكل شيء بمجرد جهاز التحكم ذلك

كان ذلك رد فعل صوفيا حين قدوم زوجها بآلتهم الجديدة، ولكنه لم ينتبه لحديثها؛ انشغل أكثر بقراءة التعليمات المُلحقة بالروبوت

- لم يذكروا أن له أضرار على الوضع، أو الطفل
- جيد، لا ضرر على أحد مِنا هكذا

في صباح اليوم التالي ذهب سائر لعمله كالروتين اليومي، وكما المتوقع المدينة كلها تتحدث عن تلك الآلة المُذهلة، تلك التي توفر عليهم صُنع الطعام، تُقلل المجهود في تنظيف المنزل، كما أن شحنها يكون مِن الطاقة الشمسية ليس إلا، كما جميع أجهزتهم

- ليتها تتحدث، أو تتجسد كما البشر حتى تعمل بدلًا مني
- وبعد ذلك.. أين فائدتنا كبشر؟
- نُعمر الأرض بفتيان شجعان، زهرات لوتس كما ابنتي
- حقًا!

سنصبح كالحيوان ناكل ونتكاثر فقط؟

- لا ترى الحياة مِن منظور ضيق، فأنت ستقوم بشحن تلك الآلة، ستقوم زوجتك ببعض الأعمال الطبيعية، لا تأخذ الحياة على صدرك هكذا، انظر للجانب المشرق
- أنا برج السرطان
- نعم نعم، إنك مازلت تهتم بتلك الحماقات، وماهو برج السلطعون ذاك؟
- يبحث في كافة الأمور، يتوقع الأسوء قبل حدوثه ويحاول تجنبه أو على الأقل عدم التصادم به

زميل العمل السطحي، ينظر له نظرة ساذجة بشق نصف شفتاة ببسمة سخيفة، ويترك سائر في تشاؤمه كما يُلقبه

فالحقيقة لا يغلم سائر سر قلقه، ولكنه يعلم أن شعوره لا يكذب، والأسوء أنه يجلس فقط، يجلس ينتظر الوعكة القادمة، الساكنة في منزله

يحدث سائر مديرة من خلال الشاشة الخاصة بالمكتب، ويطلب منه الإنصراف مبكرًا، وبعد موافقة مديرة اتجه للطريق المخصص للسير على غير عادته؛ رفبةً في الإستماع لمحادثات الناس وآراءهم المختلفة عن تلك الطفرة، والسبب الأقوى حتى يرى هل هناك من يشعر بالقلق مثله، أم أنه الوحيد الذي يُعكر التفكير صفو أيامه

- في الحقيقة إنه اختراع مُذهل، ولكن به شعاع مزعج للغاية، حاولت بكل الطُرق أن أُبطله، أو أعلم ما سببه من ذلك الكُتيب، ولكن لم أصل لحل

توقف سائر عن المشي، وحاول أن يُبطيء في خطواته حتى يسترق السمع

- لم ألحظ ذلك، ولكن من الطبيعي وجود ذلك الشعاع
- مِن الطبيعي أن يكون لونه أحمر، ولكن ذلك يصل لدرجة الشفافية، لم ألحظه إلا حينما استخدمت جهازي بالصدفة للكشف عن الأشعة تحت الحمراء
- شيء مُحير بحق، ولكن بالتأكيد لن تضرنا الدولة

لم يأخذ سائر دقائق من التفكير قبل أن يركض مسرعًا تجاه سيارته، وينطلق بسرعة البرق لمنزله، حتى لم يهتم لجهاز مخالفات السرعة بسيارته

ظل سائر جالسًا أمام ذلك الجهاز الملعون، وبدون مقدمات حاول أن يعطله ولكنه لم يسجب!

مرة أخرى يضغط على زر التعطيل، ولكن الفشل مايقابله، لم ييأس أمامه حتى جاءت فكرة تُنير رأسه

***

- مِن فضلك أريد روبوت آخر تصدير.
- ألم تشتري واحدًا الاسبوع السابق؟
- نعم، ولكن ذلك الجديد هدية لإحدى أقاربي
- حسنًا، تفضل.

ذهب سائر بذلك الجهاز الجديد لمختبر الإلكترونيات المتواجد في مركز المدينة

- اهلًا بك يا أستاذ عزيز، أرجوك لا وقت للشرح، أتعلم كيف نعطله؟
- راجعت الكُتيب ولكن لم يُذكر، بالإضافة أنه لم يطلب أحد إيقافه من قبل
- كيف لكَ أن تكون جاهل بشيء كهذا!

ألم تختبره الدولة مسبقًا!!

- سائر، أنا مجرد عامل هنا يأخذ الأوامر قط
- حسنًا، حاول الآن

صوت إنفجار عالٍ مِن الخارج

- اجلس، سأذهب أنا

خرج سائر ووجد أن الإنفجار منزل أحد الجيران الذي حاول كشف سر ذلك الليزر الغير مرئيي، ولكن انتهى به الحال بكتلة متفحمة.

اتجه سائر تجاة الإنفجار، ولكن لم ينجُ أحد مِن أفراد الأسرة، والغريب أن الروبوت لم ينفجر!

لم يمسه سوء، لكن هناك أسلاك زرقاء تم قطعها، وهناك أخرى بيضاء، نعم بالتأكيد تلك تقول أنها الحل كما اعتقد سائر، ولكن...

- توقف يا عزيز، توقف لا تقطع أيًا مِن تلك الأسلاك الزرقاء، تخلص مِن البيضاء.
- ولكن أخبرني، لماذا تنفجر حين قطعها، إنه لأمر مُخيف
- أعلم من البداية أن الأمر ليس بالخير
- لنرى، بعد قطع أخِر سلك أبي...

توقف، الحمدلله.

- ولكن لماذا هناك خاصية الإنفجار من الأصل.

ماهذا؟ ألم تقطع كافة السلوك؟!

- بالطبع قطعتها، لا أعلم كيف أن تظهر تلك الكلمات
- حسنًا، اضغط على إغلاق هنا.. قُم بالموافقة على الشروط

فجأة بدون توقع تم اخراج شعاع مُدمر مِن عين الروبوت يقوم بتدمير كافة ما يقابله، وكأننا بأحد أفلام الخيال العلمي

يحاولون إيقافه من جهاز التحكم ولكن لا فائدة ولم يتبقى سوى تدميرة بأي آلة حادة

- بالطبع لن نَمُت على ليزر روبوت!
- يجب علينا تفسير ذلك
- لا يوجد تفسير يا بروفيسور سوى أنها خطة مِن الكيان الصهيوني كما توقعت، انظر لمدخلات الصوت، لِما توجد وهو بلا صوت من الأساس
- كانوا يتجسسون علينا
- نحن مُعرضون للخطر، بالتأكد سيتم انتهاكنا

صوت انفجارات بالخارج، الجميع يصرخ، الفزع يحيط المكان، الدماء تحتل الشوارع؛ يركض سائر بسرعة حتى يلحق بزوجته، يحاول جاهدًا تجنب تجار الروبوت؛ يصل سائر لمنزله ولكن الحقيقة هي أن الروبوت قد تخلص منهم وبعد ذلك انفجر ذاتيًا؛ بالطبع حتى يحصلون على مرادهم فقط وليس تدمير العالم

لم ينتبه سائر لكم المصائب مِن حوله، ولكن هل حقًا يجب أن نموت حتى ينتهي الشر؟

خرج سائر بعدما قضى على الروبوت، قام بتجميع الناس كلها لكنه لم يرَ فائدة للشرح الآن، ولكنه أمرهم بالمكوث هنا والاستلاء على كافة الآلات الحادة ومحاولة الاختفاء بالطابق السُفلي

- مهندس الروبوتات، تاجر الأجهزة، أنتما معي، أما البقية يجب عليهم حماية بعضهم هنا

صعدوا بعيدًا عن عامة البشر، وبدأ سائر في الشرح: الصهيون قاموا بزرع تلك الأجهزة حولنا؛ حتى يراقبونا ويتتبعوا جميع أخبارنا، قاموا بالغاء خاصة التعطيل، جعلوا اي محاولة للإيقاف تؤدي للإنفجار، أو أمر الروبوت بتدمير البشر، وبعد كل بشري يقوم الروبوت بتفجير نفسه بعد إيصال المعلومات لهم

- يجب علينا تحطيمهم، ولكن كيف ذلك وهم الأسرع
- سنقوم بتدمير المتطرفين واحدًا تلو الأخر
- حسنًا، سن...

صوت انفجار عالٍ بعدما أخرج التاجر أخر زفير له

- لالالا بتأكيد لن ننتهِ

اتجهوا جميعًا للخارج بغضب شديد، الجميع يُدمر، ويُقتل، الجميع لن يرضى بعلم العدو على أرضهم

*بعد حرب دامت للكثير مِن الوقت، ومع انفجار أخِر روبوت، مع أخِر كلمة قالها سائر وهي أن الأرض إن لم تكن لهم أحياء، فدمائهم تحتل كل شبر فيها

***

"صباح الخير عزيزي، الطقس بارد اليوم، يجب علينا الإلتزام بالمنزل ورؤية تلك الأخبار الجديدة عن الصفقة القادمة"

***